تَعظِيمُ اللهِ تَعَالى فِي هِدايَات القُرْآن الكَريم

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

غرس قيمة تعظيم الله
وأثره في الانتفاع بهدايات القرآن

اسم الباحث

أ / سلمان بن عمر السنيدي

سلمان بن عمر السّنيدي

غرس قيمة تعظيم الله

وأثره في الانتفاع بهدايات القرآن

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله محمد بن عبد الله،،

وبعد؛ فإنّ من حقّ الله علىٰ عباده عبوديته وتوحيده، ومن أعظم ما تتضمنه معاني العبودية تعظيم الله، وخشيته والخضوع له والانقياد لأمره، واتباع شرعة رغبة ورهبة وإجلالًا ومحبة، وكلما عظَّمَ العبد ربه تعظيمًا يليق بربه، تلقىٰ كلامه تلقي المعظِم المحب، وانفتح قلبه لهدايات القرآن، وأصبح القرآن له شفاءً ورحمةً ونورًا وهدىٰ، يكشف له الحق من الباطل، ويبني حياته علىٰ مراد الله مسلمًا أمره للحكيم العليم، فرحًا بالانقياد له، مستبشرًا بسعاداته في الدنيا راجيًا من الله الفوز برضوانه، والسعادة الأبدية بدخول جنته، وكلما خبىٰ عزمه، جدد تعظيمه لله في قلبه العزم وأثار فيه الهمة والسير الله، فانتفع بتلاوته لكتاب الله، فكان تعظيم الله هو المحفز لأعمال الصالحة الباطنة والظاهرة.

ولما كان لتعظيم الله هذه المكانة في استقامة العبد وفي انتفاع بكلام الله وهدايات القرآن، سعيت للمشاركة بهذا البحث، عسىٰ أن يكون عونًا لغرس تعظيم الله في النفوس لتنتفع بهدايات القرآن والاستقامة علىٰ هديه، فما كان فيه من توفيق وصواب فمن الله وحده، فله الحمد كله، وما فيه من زلل أو قصور فمن نفسي والشيطان، والله الهادي إلىٰ سواء السبيل

سلمان بن عمر بن محمد السنيدي

الرياض

٠٥٠٤٤٢٤٣٤٢

٢٠/ ١/ ١٤٤١هـ

المدخل

مشكلة البحث

شواهد تعظيم الله في القرآن كثيرة ومتنوعة، مما ييسر للمعلمين والمربين والخطباء والدعاة نشرها وتعليمها بوسائل متنوعة، وبرغم أن التعليم سبيل عظيم لنشر العلم إلا أن هناك خلل كبير يلاحظ عند كثير من المتلقين خاصةً الطلاب والطالبات حيث لا يرىٰ بعد سماعهم هدايات القرآن كبير أثر في عمل أو خلق، وكثير ما يندب معلمي العلوم الشرعية وخاصة معلمي القرآن عدم استفادة الطلاب مما يوعظون به، مع كثرة ما يصلهم من معلومات، ثم إن المربين ليتساءلون: كيف السبيل إلىٰ نقل تلك العلوم والمعارف والهدايات القرآنية إلىٰ تطبيق عملي لدىٰ المتلقين؟ ولا سيما أن هذه الهدايات مستقاة من أجل المصادر وأصدقها حديثًا وأعظمها تأثيرًا.

وفي هذ البحث محاولة للإجابة علىٰ هذا التساؤل، وتفسير للفجوة بين العلم والعمل، وبيان سبيل علاجها، وذلك أن النفوس البشرية كي تستقيم علىٰ شرع الله استقامة ذاتية وتنتفع بهدايات القرآن لا بد مع تعليمها هدايات القرآن أن تزرع فيها قيم تعظيم الله؛ ليحصل لها مع العلم تزكيةً، ومع التلقين تأثرًا، وأن تَرىٰ أثناء تَعلُّمها قدوةً تجسد المفاهيم واقعًا تتفاعل معه بكل حواسها، فتنغرس فيها هدايات القرآن قيمًا تحبها، وتسارع إلىٰ مقتضاها عملًا، وتنشرها دعوةً، وتدافع عنها قناعةً، بل وتضحي في سبيل الله من أجلها.

الدِّراسات السابقة

وبرغم أن الهدي النبوي العملي يؤكد علىٰ أهمية الإيمان الذي يسبق تعلم القرآن، كما ورد ذلك في عدة آثار منها:

قول حذيفة بن اليمان ﷺ: «**إِنَّا قومٌ أوتينا الإيمان قبل أن نؤتىٰ القرآن، وإنَّكم قوم أوتيتم القرآن قبل أن تؤتوا الإيمان**»(١).

وقول جندب بن عبد الله البجلي ﷺ: **كنا مع النبي ﷺ فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، فازددنا به إيمانًا**(٢).

---

(١) رواه البيهقي، السنن الكبرىٰ (٥٤٩٧).

(٢) رواه ابن ماجه (٦)، وقال في (الزوائد): «حديث صحيح»، ورواه البيهقي، السنن الكبرىٰ (٤٥٩٨)، وشعب الإيمان (١/ ٧٦)، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٦٧٩). وصحّحه الألباني؛ صحيح ابن ماجه (٦٠).

وقول عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**لقد عشنا برهة من دهرنا وأحدنا يؤتىٰ الإيمان قبل القرآن**»[(١)].

إلَّا أنَّني لم أقف علىٰ من حدَّد معالمَ ذلك الإيمان الذي يسبق تعلّم القرآن، ولم أجد دراسة تكشف سبر ذلك التّرتيب بين الإيمان وتعلّم القرآن، وإلّا ما وجد -بحسب اطلاعي- من صنيع المجدِّد محمّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ حين ألّف رسالة (تعليم التّوحيد للصّبيان) فبيَّن رَحِمَهُ اللَّهُ أن منزلة تعلم التّوحيد أولًا، وعلّل ذلك حين قال في مقدمتها: «رسالة نافعة فيما يجب علىٰ الإنسان أن يُعلم الصبيان قبل تعلمهم القرآن، حتىٰ يصير إنسانًا كاملًا علىٰ فطرة الإسلام، موحدًا جيدًا علىٰ طريق الإيمان» [(٢)].

أمّا يتعلق بزراعة القيم فقد وجِدَتْ دراسات معاصرة عن الأهداف الوجدانية، وتطبيقاتها في المناهج الدراسية وهي ملازمة لمفهوم زرع القيم، ولم أجد دراسة عن زرع تعظيم الله كهدف وجداني، مع وجود محاضرات وخطب وبرامج وأنشطة عن (زرع تعظيم الله في النفوس). وفي الغالب أنها تذكر موجبات تعظيم الله، حيث تذكر شواهدها من القرآن والسنة وأقوال السلف، دون ذكر ما يلزم للغرس تعظيم الله من خطوات ومراحل ومتطلبات، ودون ذكر لمواصفات البيئة التي يثمر فيها غرس تعظيم الله.

أهمية البحث

١- الحاجة الماسة إلىٰ غرس تعظيم الله ليكون أساسًا متينًا للثبات أمام فتن الشهوات والشبهات.
٢- كثرة المظاهر التي تدل علىٰ عدم الانتفاع بهدايات القرآن برغم تلقيها وتعلمها.
٣- ضعف العناية بغرس تعظيم الله تأصيلًا وإعداد للمربين.
٤- الجهل بمتطلبات غرس القيم وخاصة ما يحتاج لغرس تعظيم الله.
٥- حاجة الجهات التربوية إلىٰ إعداد المربي القادر علىٰ غرس قيم تعظيم الله.

الفئات المستفيدة من البحث.

١- القادة التربويون، والمربون والمعلمون وخاصة معلمي المواد الشرعية.

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرىٰ (٥٤٩٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٥)، وقال: «صحيح علىٰ شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي.

(٢) رسالة تعليم الصبيان التوحيد (ص٢).

٢- الموجهون والمؤثرون وخاصة الخطباء والدعاة.

٣- العاملون في المحاضن القرآنية وخاصة محفظي القرآن.

خطة البحث

يشتمل البحث علىٰ تمهيد، وخمسة مطالب، وخاتمة تحوي نتائج وتوصيات، كالتالي:

التمهيد:

- معنىٰ تعظيم الله.
- تعظيم الله قيمة عظمىٰ.
- الفرق بين غرس القيم وبين تعليم القيم.
- مراحل غر س قيمة تعظيم الله.

المطلب الأول: أهمية غرس قيمة تعظيم الله للانتفاع بهدايات القرآن.

المطلب الثاني: خصائص غرس قيمة تعظيم الله.

المطلب الثالث: متطلبات غرس قيمة تعظيم الله.

المطلب الرابع: نتائج إهمال غرس قيمة تعظيم الله وأثره علىٰ الانتفاع بهدايات القرآن.

المطلب الخامس: أثر غرس قيمة تعظيم الله علىٰ الانتفاع بهدايات القرآن ۞

التمهيد

معنىٰ التعظيم، تعظيم الله قيمة عظمىٰ، الفرق بين غرس القيم وبين تعليم القيم، مراحل غر س قيمة تعظيم الله.

١ - معنىٰ تعظيم الله

التعظيم في اللغة يفسر بالتكبير والتفخيم، قال الفيروز أبادي: العِظَم بكسر العين خلاف الصِغر، وعظَّمه تعظيمًا وأعظمه أي فخمه وكبره، واستعظمه أي رآه عظيمًا[١]، وقال الرَّازيُّ: عظُم الشَّيء: أي كبُر، فهو عظيم[٢]. وعظَّمه: كبَّره وفخَّمه وبجَّله ووقَّره.

ومن أسماء الله العظيم قال تعالىٰ: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾[الواقعة: ٧٤، ٩٦. الحاقة: ٥٢].

قال الطبريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العظيم معناه: المُعَظَّم الذي يُعَظِّمه خلقُه، ويهابونه، ويتقونه)[٣]،

قال القرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بمعنىٰ عظيم القدر والخطر والشرف»[٤].

وقال السّعديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذي تتضاءل عند عظمته جبروت الجبابرة، وتصغر في جانب جلاله أنوف الملوك القاهرة، فسبحان من له العظمة العظيمة والكبرياء الجسيمة والقهر والغلبة لكل شيء»[٥].

قال تعالىٰ: ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩﴾ [الفتح].

قال الطبريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأما التوقير: فهو التعظيم والإجلال والتفخيم»[٦].

وقال البغويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وتوقِّروه: تعظِّموه وتفخِّموه»[٧] .

---

(١) القاموس المحيط، الفيروز أبادي (١/ ١٤٧٠).

(٢) مختار الصحاح (ص ١٨٥).

(٣) تفسير الطبري (٣/ ١٥).

(٤) تفسير القرطبي (٣/ ٢٤٦).

(٥) تفسير السعدي (١١٠).

(٦) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٠٧).

(٧) تفسير البغوي (١٢٠٣).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «التوقير هو: الاحترام والإجلال والإعظام»(١).

ويذكر **التعظيم من معاني العبودية** قال المناويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: العبادة أنها فعل المكلف علىٰ خلاف هوىٰ نفسه تعظيمًا لربه. وقيل: هى تعظيم الله وامتثال أوامره(٢). وقيل: هى التَّذلُّل لله محبَّةً وتعظيمًا بفعل أوامره واجتناب نواهيه علىٰ الوجه الذي جاءت به شرائعه(٣).

ولا تستقيم عبادة الله إلَّا بالتعظيم، ولا تصح إلَّا به، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «يجب أن يكون الله أحب إلىٰ العبد من كل شيء، وأن يكون الله عنده أعظم من كل شيء، بل لا يستحق المحبة والذُّلّ التّامّ إلا لله، فكل ما أحب لغير الله فمحبته فاسدة، وما عُظِّم بغير أمر الله كان تعظيمه باطلا»(٤).

وكلّ عبادة تتضمن تعظيمَ الله، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «العبادة تتضمن كمال الحب وكمال التعظيم، وكمال الرجاء والخشية والإجلال»(٥)، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾[البقرة: ١٨٥]، يعنى: ولتعظموا الله(٦)، تكبير الله بمعنىٰ تعظيمه، وهو واجب في جميع الأوقات، وفي كلّ الواجبات(٧).

وفي قول الله: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾[الرعد]، يقول ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «ابتغاء وجه ربهم أي: طلب تعظيم الله وتنزيهًا له أن يخالف في أمره أو يأتي أمرًا كره إتيانه فيعصيه به»(٨).

ويذكر **التعظيم من معاني الخشوع**، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «خشوع القلب لله بالتعظيم والإجلال والوقار والمهابة والحياء، فينكسر القلب لله كسرة ملتئمة من الوجل والخجل والحب والحياء، وشهود نعم الله، وجناياته هو؛ فيخشع القلب لا محالة، فيتبعه خشوع الجوارح»(٩).

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٣٢).

(٢) التعريفات (٤٩٨).

(٣) مجموع فتاوىٰ العثيمين (٢/ ٢٥).

(٤) العبودية (٥).

(٥) مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية (١٠/ ٤٨٨).

(٦) تفسير الطبري (٣/ ٤٧٩).

(٧) البحر المحيط (١/ ١٥٥).

(٨) تفسير الطبري (١٦/ ٤٢٢).

(٩) الروح (ص ٢٣٢).

٢- تعظيم الله قيمة عظمىٰ

القيمة لها ثلاث مكونات: علم معرفي، وتأثر وجداني، وسلوك عملي، ويمكن توضيح ذلك علىٰ سبيل المثال في قيمة الصلاة، **فالعلم**: يتحقق بإدراك أن الصلاة واجبة، وأنها أحد أركان الإسلام، وأما **التأثر الوجداني**: فيتمثل بتعظيم الصلاة، وإجلالها وتعظيم قدرها، وحبها، والخوف من فوات ما يجب لها، وأما **السلوك العملي**: فيتمثل بالإقبال عليها، والمسارعة نحوها، وإقامتها والخشوع فيها وتأديتها علىٰ الوجه المطلوب.

وهكذا تجري هذه المكونات علىٰ كل القيم، ومن الشواهد القرآنية التي اجتمع فيها ترابط العلم بالتأثر الوجداني والسلوك العملي في سياق واحد قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾﴾ [المعارج]، فهذا علم وتصديق ويقين باليوم الآخر. وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾﴾ [المعارج] تأثرٌ وجداني، ثمّ تلىٰ ذلك بيان سلوك علمي متمثل في عدد من التصرفات فقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المعارج].

فإذا نظرنا إلىٰ تعظيم الله؛ نجده قيمة عظمىٰ، وتوضيح ذلك كما يلي:

المكوّن الأول: العلم بعظمة الله: من خلال الإيمان بأسماء الله وصفاته الحسنىٰ وتفرده سبحانه بالخلق والملك والتدبير.

المكوّن الثاني: التأثر الوجداني بعظم الله: ما يقع في نفوس المؤمنين من خشية الله وإجلاله، والخوف منه، ورهبته، ومحبته.

المكوّن الثالث: السلوك العلمي بتعظيم الله: ما يكون من عبادة لله وطاعته والذلة له والتضرع والافتقار إليه، والتقرب له بما يحبه ويرضاه، والحذر من معصيته وتجنب مخالفة أمره.

وممّا يؤكّد أن تعظيم الله قيمة عظمىٰ أن المكون الأول يتطابق مع توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، والمكون الثاني والثالث يتطابق مع توحيد الألوهية.

وقد توافرت النصوص من الكتاب والسنة وأقول السلف علىٰ تلازم الاعتقاد مع العلم والعمل ومن ذلك:

قول عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إذا سمعت الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾؛ فارعها سمعك فإنه خير يأمر به أو شر ينهىٰ عنه»[(١)].

مما يؤكد ترابط الإيمان بالسلوك العملي.

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يزال الرجل يطلب العلم؛ فلا يلبث أن يرىٰ ذلك في تخشعه وهديه ولسانه وصلاته وزهده»[(٢)].

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالعلم النافع هو ما باشر القلب فأوقر فيه معرفة الله وعظمته وخشيته وإجلاله وتعظيمه ومحبته. ومتىٰ سكنت هذه الأشياء في القلب؛ خشع، فخشعت الجوارح تبعًا له»)[(٣)].

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمتىٰ امتلأ القلب بعظمة الله تعالىٰ؛ محا ذلك من القلب كل ما سواه، ولم يبق للعبد شيء من نفسه وهواه، ولا إرادة إلّا لما يريده منه مولاه. فحينئذ لا ينطق العبد إلّا بذكره، ولا يتحرك إلّا بأمره. فإن نطق؛ نطق بالله، وإن سمع؛ سمع به، وإن نظر؛ نظر به، وإن بطش؛ بطش به. فهذا هو المراد بقوله: كنتُ سمعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يبصر به، ويدَه التي يبطش بها، ورجلَه التي يمشي بها»[(٤)]

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فكلّ علم وعمل لا يزيد الإيمان واليقين قوّةً؛ فمدخولٌ، وكلّ إيمان لا يبعث علىٰ العمل؛ فمدخول»[(٥)].

٣- الفرق بين تعليم القيم وغرس القيم

لما كان كانت القيم بهذه المكونات الثلاث: العلم، والتأثر الوجداني، والسلوك العملي، فإن غرس القيم له أهداف معرفية، وأهداف الوجدانية[(٦)]، وأهداف سلوكية، ولذا يلزم لمن

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣)، كتاب الزهد، للإمام أحمد (ص ١٥٨)، والزهد، لابن المبارك (١٢)، وحلية الأولياء (١/ ١٣٠).

(٢) سنن الترمذي (٣٩١)، جامع بيان العلم (١/ ١٢٧).

(٣) شرح حديث أبي داود في طلب العلم لابن رجب (١٩).

(٤) جامع العلوم والحكم (٤١٢).

(٥) الفوائد (٨٦).

(٦) قام " كراثول" وفريقه في عام ١٩٦٤م، ١٣٨٤هـ، بتصنيف الأهداف الوجدانية إلىٰ خمسة مستويات هي: التلقي والاستجابة، والتقييم، والتفاعل والتبني، انظر المناهج المعاصرة (ص ٢٥٥).

يغرس القيم أن يراعي ما يحتاجه كل مكون أمور يحصل بها تحقق الغرس ونماؤه وتمامه حتىٰ يؤتي ثماره، وذلك كحال المزارع الذي يستعد لغرسه بكل ما يحقق تمام زرعه، فهو يراعي مناسبة الزمان والمكان، وصلاح الأرض، وجودة البذر، وتعاهد الغرس وإمداده بما يحتاج، وتوالي سقيه بالماء كمًا وكيفًا، وحماية براعمه، وتعاهد فسائله، مستخدما كل الوسائل النافعة ...كل ذلك ليتحقق له نمو ما كان يصبو إليه، فكذلك علىٰ غارس القيم عليه أن يراعي في غرسه ما يناسب المتلقي، ويختار ما يلائمه، ويعد البيئة السليمة حوله، ويتعاهد نمو غرسه خطوة بعد خطوة، وأن يهيئ الظروف لينغرس في قلبه ما قصد من القيم، ويحذر من كل ما يفسده أو يعيق غرسه، وكل ذلك بصبر، وحلم وحكمة.

فتعليم القيم يختلف عن غرس القيم، حيث يأخذ تعليم القيم المكون الأول فقط، فالتعليم الفعال لقيمة من القيم خطوة مهمة ولازمة ولكنها ليست كافية لغرس هذه القيمة، حيث يبقىٰ غرس الجانب الوجداني والجانب السلوكي وما يحتاجه من مفاهيم وأدوات ووسائل وبيئة ومدة زمنية ووسائل ومتطلبات أخرىٰ، وما يلي مقارنة توضح أهم الفروق بين تعليم القيم وغرس القيم.

مقارنة بين تعليم القيم وغرس القيم

المجال	تعليم القيم	غرس القيم
المحتوىٰ	معلومات	معلومات، مشاعر، سلوك
القائم بالعمل	معلم	مربي وقدوة
الوسط التعليمي	مدرسة وفصل دراسي	كل البيئة المحيطة بالمتعلم
الزمن	وقت الدرس	يشمل حياة المتعلم
طريقة التقييم	اختبار نظري	الثبات علىٰ السلوك العملي القيمة
الهدف الإجرائي	الفهم والحفظ	الاستجابة للقيمة بقناعة وحب
الهدف	فهم العلوم	تبني القيمة بفخر واعتزاز
الثمرة	اتقان العلم	دعوة الآخرين للقيمة
النتيجة	شهادة النجاح المدرسي	البذل والتضحية من أجل القيمة

٤- مراحل غر س قيمة تعظيم الله

يمر غرس القيم بمراحل متتالية، وقد صعب الفصل بينها لما بينها من التداخل، ولكن يمكن ملاحظة كلّ مرحلة بما يميزها، ويمكن تقسيم المراحل غرس قيمة تعظيم الله إلىٰ المراحل التالية:

١- يحسن المتربي تلقي قيم تعظيم الله، ويتقبلها.
٢- يؤمن بقيمة تعظيم الله، ويصدق دلائل وشواهدها بقناعة قوية.
٣- ينقاد لما تقتضيه قيمة تعظيم الله من سلوك عملي، ويبادر لذلك بحب ورغبة.
٤- يعتز بمبادئ قيمة تعظيم الله، ويعلنها بفخر، ويرفض ما يخالفها.
٥- يتبني برنامجًا أو مشروعًا لقيمة تعظيم الله، ويدعو إليه ويبذل من أجله.
٦- تكون قيمة تعظيم الله سمة له، ويعرف بها، حيث يصبغ حياته بها ۞

المطلب الأول: أهمية غرس قيمة تعظيم الله للانتفاع بهدايات القرآن

البدء بغرس تعظيم الله منهج نبوي

كثيرٌ ما يأتي في كتاب الله أثر تعظيم الله في القلب سابقًا لذكر التأثر بالقرآن والانتفاع به، فمن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال]؛ فجاء ذكرُ الله وتعظيمه، ووجل القلب مقدمًا علىٰ زيادة الإيمان بتلاوة القرآن.

وكذلك في قوله تعالىٰ: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ۝١٦﴾ [الحديد]؛ جاء تعظيمهم لله بخشوع قلوبهم عند ذكر الله مقدمًا علىٰ خشوعهم وتأثرهم بما نزل من الحق وهو آيات القرآن وهداياته.

وكذلك في قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝٢٣﴾ [الزُّمَر: ٢٣]؛ فوصف الله أهل التأثر بالقرآن بأنهم الذين يعظمون الله فتقشعر جلودهم من خشية الله، فهم الذين باشر الإيمان قلوبهم بخشيه الله وتعظيمه فأورثهم ذلك تأثرًا بالقرآن عند سماعه.

والمنهج النبوي يؤكد أن غرس الإيمان المتضمن تعظيم الله في النفوس يكون قبل تقلي هدايات القرآن، ولقد أكدت الأحاديث والآثار الصحيحة عن الصحابة ﷺ هذا النهج النبوي، حيث عاشوا ذلك منهجًا سائرًا، وطريقة ثابتة، في عهد النبي ﷺ، حيث يتلقون الإيمان أولًا ثم يتلقوا القرآن، كما دلّت علىٰ ذلك الشواهد التالية:

- عن حذيفة بن اليمان ﷺ، قال: حدّثنا رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ**»[(١)].

قال ابن تيمية رحمه الله: «والأمانة هي الإيمان، أنزلها في أصل قلوب الرجال»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (٧٢٧٦)، ومسلم (١٤٣)، واللفظ له.

(٢) مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية (١٢/ ٢٤٩).

- وعن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «إِنَّا قومٌ أوتينا الإيمان قبل أن نؤتىٰ القرآن، وإنَّكم قوم أوتيتم القرآن قبل أن تؤتوا الإيمان»(١).
- وعن جندب بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنّا مع النَّبيِّ ﷺ ونحن فتيان حَزَاوِرَة(٢)، فتعلمنا الإيمانَ قبل أن نتعلم القرآن، فازددنا به إيمانًا، [وإنَّكم اليوم تَعَلَّمون القرآنَ قبل الإيمان](٣) .
- وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: لقد عشنا برهة من دهرنا وأحدنا يُؤتىٰ الإيمان قبل القرآن، وتنزل السُّورة علىٰ محمّد ﷺ فيتعلّم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها، وما ينبغي أن يقف عنده منها، كما تَعَلَّمون أنتم اليوم القرآن. ثمّ لقد رأيتُ اليوم رِجالًا يُؤتىٰ أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحته إلىٰ خاتمته، ما يدرىٰ ما آمره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يقف عنده منه، فينثره نثر الدَّقَل(٤) .
- ويروىٰ عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنّه قال: جاء رجلٌ إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني أقرأ القرآن فلا أجد قلبي ينفكّ عنه، فقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ قَلْبَكَ حُشِيَ الْإِيمَانَ، وَإِنَّ الْإِيمَانَ يُعْطَىٰ الْعَبْدَ قَبْلَ الْقُرْآنِ**»(٥) .

لمّا سُئل شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: هل يبدأ بالزّهد أم بالعلم أم بالعبادة؟ فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ قائلًا: لا بدّ من الإيمان الواجب والعبادة الواجبة والزّهد الواجب، ثمّ النّاس يتفاضلون في الإيمان كتفاضلهم في شُعَبه، وكلّ إنسان يطلب ما يمكنه طلبه، ويُقَدّم ما يقدر علىٰ تقديمه من الفاضل(٦).

---

(١) رواه البيهقي، السنن الكبرىٰ (٥٤٩٧).

(٢) حزاورة: جمع الحزور، وهو الغلام إذا اشتد وقوي، وفسرت بالفتىٰ الذي قارب البلوغ، غريب ابن قتيبة (٣/ ٥٨).

(٣) رواه ابن ماجه (٦)، وقال في (الزوائد): «حديث صحيح»، وصححه الألباني؛ صحيح ابن ماجه (٦٠)، ورواه البيهقي مع الزيادة في آخره، السنن الكبرىٰ (٤٥٩٨)، شعب الإيمان (١/ ٧٦)، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٦٧٩).

(٤) رواه البيهقي، السنن الكبرىٰ (٥٤٩٦)، والحاكم، المستدرك (١/ ٣٥)، وقال: «صحيح علىٰ شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي.

(٥) رواه أحمد في المسند (٦٦٠٤)، وضعَّفه المحقّق (١١/ ١٧٧)، وقال: «إسناده ضعيف، لضعف ابن لهيعة». وينظر: كتاب المقصد العلي في زوائد مسند أبي يعلىٰ (١/ ١٥١)، باب: تحصيل الإيمان قبل القرآن.

(٦) مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية (٧/ ٦٥١).

وكان من المقرر عند السَّلف: أنّه إذا بلغ الصَّبيُّ؛ فأوّل واجب عليه تعلم كلمتي الشهادة وفهم معناها[١]. وهذا منهج مهمٌ يجعلنا نفكِّر بالأولويات والحاجات الأساسية التي تكون ممهدة لما بعدها، وأنّ البناء العلمي لا بدّ له من أسس وقواعد إيمانية يُبنىٰ عليها، ومقدمات يُعتمد عليها. ولا شكَّ أنّ عظمة القرآن والحاجة إلىٰ حفظه ظاهرة لكلّ مسلم، لكن الحاجة لترسيخ الإيمان الذي يسبق تعلمه منهجًا نبويًا، من أجل أن يكون تلقي القرآن في القلب تلقي تعظيم وانقياد، وتطلع للعمل به، ويقين ورجاء بوعده، وخوف من وعيده.

١ - غرس تعظيم الله هو الذي يهيئ النفوس للعمل بهدايات القرآن

لقد كان القرآن يتنزَّل في مكة ثلاثة عشر سنة ليغرس في القلوب تعظيم الله وحدة، ليزرع العقيدة والتوحيد، مع قليل من الشّرائع العملية. وكانت القلوب هي الميدان المقصود في ذلك العهد حتىٰ إذا انفتحت بالإيمان، وانشرحت بنور القرآن؛ تهذبت النفوس، واستقامت علىٰ طاعة الله، وأسلمت أمرها لأمر الله ورسوله ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧﴾ [الحُجُرات].

قالت عائشة رضي الله عنها عن القرآن: «إنّما نزل أوّل ما نزل منه سورةٌ من المفصّل، فيها ذكر الجنّة والنّار، حتىٰ إذا ثاب النّاس إلىٰ الإسلام، نزل الحلال والحرام. ولو نزل أول شيء: (لا تشربوا الخمر)، لقالوا: لا ندع الخمر أبدًا، ولو نزل: (لا تزنوا)، لقالوا: لا ندع الزِّنا أبدًا، لقد نزل بمكة علىٰ محمد ﷺ وإني لجارية ألعب: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ۝٤٦﴾ [القمر]، وما نزلت (سورة البقرة والنساء) إلا وأنا عنده»[٢].

ولمّا أخبر ﷺ أنّ مفتاح صلاح العبد هو صلاح قلبه في قوله: «**إِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ**»[٣]، كان غرس تعظيم الله في القلب خير ما يصلح القلب ويصلح حال العبد، فإنه إذا عَظَّم الله صلح قلبه، فتلقي هدايات القرآن بقين وتعظيم واستعداد للعمل بها.

---

(١) مختصر منهاج القاصدين (١/ ٦).

(٢) رواه البخاري (٤٩٩٣)؛ مع الفتح (٩/ ٣٩).

(٣) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (٤١٧٨).

فغرس تعظيم الله وما يلحق به من ركائز الإيمان يحدث في القلب توطئة مهمة لتلقي هدايات القرآن لما فيها من تفريغ القلب وتخليته من شوائب الأهواء والأدواء، وبما يملؤه من الأحوال والأعمال القلبية، ويصف شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ ذلك في قوله: «التفريغ والتخلية التي جاء بها الرسول أن يفرغ قلبه مما لا يحبه الله، ويملأه بما يحبه الله، فيفرغه من عبادة غير الله، ويملؤه بعبادة الله، وكذلك يفرغه عن محبة غير الله، ويملؤه بمحبة الله، وكذلك يخرج عنه خوف غير الله، ويدخل فيه خوف الله تعالىٰ، وينفي عنه التوكل علىٰ غير الله، ويثبت فيه التوكل علىٰ الله، وهذا هو الإسلام المتضمن للإيمان الذي يمده القرآن ويقويه، لا يناقضه وينافيه، كما قال جندب وابن عمر: تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيمانًا»[(١)].

ويؤكِّد ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أن استقامة القلب بأمرين فيقول: أحدهما: أن تكون محبة الله تعالىٰ تتقدم عنده علىٰ جميع المحابّ. الأمر الثاني: تعظيم الأمر والنهى، وهو ناشئ عن تعظيم الآمر الناهي، فإن الله تعالىٰ ذمّ من لا يعظِّمه ولا يعظِّم أمره ونهيه، قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح: ١٣]؛ قالوا في تفسيرها: مالكم لا تخافون لله تعالىٰ عظمة. وإنّما يكون ذلك بتعظيم أمر الله عز وجل واتباعه وتعظيم نهيه واجتنابه، فيكون تعظيم المؤمن لأمر الله تعالىٰ ونهيه دالا علىٰ تعظيمه لصاحب الأمر والنهى ويكون بحسب هذا التعظيم من الأبرار المشهود لهم بالإيمان والتصديق وصحة العقيدة والبراءة من النفاق الأكبر[(٢)].

وبيَّن الله سبحانه أنّ ذكر الله وتعظيمه دافعٌ قويٌ للاستجابة لله، والتزام طاعته، فيقول سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ [الأعلىٰ].

٢- غرس تعظيم الله أساس متين يحفظ فتن الشّبهات والشّهوات

بيّن الله سبحانه ما يعين علىٰ الثّبات، وينهىٰ عن الانحراف عند التّعرض للفتن في قوله تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل].

فأمر بالصلاة، والصلاة كلها تعظيم وإجلال لله، لما يتضمنه الآذان والإقامة وتكبيرات الصلاة، وأفعالها وأقوالها من التكبير لله والتعظيم له، ثم قال سبحانه: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾،

---

(١) مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية (١٠/ ٤٠١).

(٢) الوابل الصيب (٧).

أي: أن ذكر العبد لربه أكبر في النَّهيِّ عن الفحشاء والمنكر، أو يكون المعنىٰ: أنَّ الصّلاة تورث أمرين؛ الأوّل: أنها تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر، والثاني: أنها تورث ذكر الله وتعظيمه في النفس، والثاني أكبر شأنًا وأعظم قدرًا.

وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ حيثُ يقول: «الصّلاة فيها دفع للمكروه وهو الفحشاء والمنكر، وفيها تحصيل المحبوب وهو ذكر الله، وحصول هذا المحبوب أكبر من دفع المكروه، فإنّ ذكر الله عبادة لله، وعبادة القلب لله مقصودة لذاتها، وأمّا اندفاع الشّر عنه فهو مقصود لغيره علىٰ سبيل التبع»[(١)].

ولمّا ذكر الله التائبين المستحقين للمغفرة بيَّن أن سبب توبتهم هو ذكرهم لله المتضمن تعظيمه وإجلاله وهيبته، فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥]؛ بيَّن أن سبب المغفرة هو ما وقر من تعظيم الله في قلوبهم، ويشهد لذلك قول الرسول ﷺ: **إنَّ رجلًا أذنب ذنبًا، فقال: ربِّ، إنِّي أذنبتُ ذنبًا فاغفره. فقال الله: عبدى عمل ذنبًا، فعلم أنَّ له ربًّا يغفر الذَّنبَ، ويأخذ به، قد غفرتُ لعبدى. ثم عمل ذنبًا آخرَ، فقال: ربِّ، إنِّى عملتُ ذنبًا، فاغفره. فقال تبارك وتعالىٰ: علم عبدى أنَّ له ربًّا يغفر الذنبَ، ويأخذ به، قد غفرتُ لعبدى. ثمّ عمل ذنبًا آخر، فقال: ربِّ، إنِّى عملتُ ذنبًا، فاغفره لى. فقال عزَّ وجلَّ: علم عبدى أنَّ له ربًّا يغفر الذَّنبَ، ويأخذ به، قد غفرتُ لعبدى. ثمَّ عمل ذنبًا آخر، فقال: ربِّ، إنِّى عملتُ ذنبًا، فاغفره. فقال عزَّ وجلَّ: عبدي علم أنَّ له ربًّا يغفر الذَّنبَ، ويأخذ به، أُشْهِدُكم أنِّي قد غفرتُ لعبدي، فليعمل ما شاء**[(٢)].

وبيَّن ذلك الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «مَنْ كملت عظمة الحق تعالىٰ في قلبه عظمت عنده مخالفته؛ لأن مخالفة العظيم ليست كمخالفة مَنْ هو دونه. ومَنْ عرف قدر نفسه وحقيقتها؛ وفقرها الذاتي إلىٰ مولاها الحق في كل لحظة ونَفَس، وشدة حاجتها إليه؛ عظمت عنده جناية المخالفة لمن هو شديد الضرورة إليه في كل لحظة ونَفَس. وإذا عرف حقارتها مع عظم قدر من خالفه؛ عظمت الجناية عنده؛ فشمَّر في التخلص منها، وبحسب تصديقه بالوعيد ويقينه به يكون تشميره في التخلص من الجناية التي تلحق به»[(٣)].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ١٨٨).

(٢) رواه البخاري (٧٠٦٨)، ومسلم (٢٧٥٨).

(٣) مدارج السالكين (١/ ١٤٤).

فكلّما كَمُل الإيمانُ، وتحقّق في العبد تعظيم الله؛ عُصِم من كيد الشّيطان، وفتنه، وثبّته الله علىٰ الدِّين، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [النحل]، وقال تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم].

٣- تعظيم الله وحياة القلب وتقواه شرط للانتفاع التام بهدايات القرآن(١)

تكاثرت الآيات الدَّالّة علىٰ أنّه لا ينتفع بالقرآن تمام الانتفاع إلَّا المتقون، ولا يعمل بهداياته إلّا الذين يخشون الله، حيثُ وقع في قلوبهم من تعظيمه وإجلاله، قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ٥١]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [يس]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [فاطر: ١٨].

وفي مواطن ذكر الله فيها أحكامًا تفصيلية نوَّه سبحانه أنَّ من يتَّعظ بالقرآن، ويعمل به هو من حقَّق الإيمان، وعظَّم الله، وخاف يوم لقائه، قال سبحانه: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾ [البقرة]، وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾﴾ [الطلاق].

---

(١) ومن أهمية غرس تعظيم الله كذلك:

- كل العبادات يراد بها تعظيم الله.
- غرس تعظيم الله من مقاصد القرآن الكبرىٰ.

المطلب الثاني: خصائص غرس قيمة تعظيم الله

١ - غرس قيمة تعظيم الله شامل للحياة

تعظيم الله ليست شعيرة معنية بطهارة القلب مع إهمال شأن الجوارح، بل لتعظيم الله تأثير شامل علىٰ جميع أعمال الجوارح، فالقلب إذا عظَّم الله حق تعظيمه، التزمت جوارح العبد ما يحب لله، وخضعت النفس لأوامر الله في جميع مناحي الحياة بمنهج واضح في جميع عباداتها وسلوكها وتعاملاتها، وانصبغت الحياة بما واقر في القلب، في توازن بديع يربط بين تعظيم القلب لله، وبين خضوعه له في حياته كلها.

فغرس تعظيم القلب لله كما هو شاملة لأعمال القلوب كالإخلاص والخوف والرجاء والحب؛ ولأعمال الجوارح كالصلاة والحج والصوم وحفظ اللسان والسمع والبصر، فهو شاملة لإصلاح العلاقات بين الناس كالبر بالوالدين وصلة الأرحام والإحسان للجار وحسن الاخلاق وطيب التعامل، وشامل لما يجب من التصرف في الأموال بالزكاة والصدقة والإحسان والنفقة علىٰ القريب، وشامل لجميع أوقات الإنسان وأحواله، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام].

ومن معاني الشمول في غرس تعظيم الله: أنه يشمل الأعمال الصالحة كلّها؛ لأنه إذا استقر في القلب تعظيم الله فإنه يثمر الهداية والاستقامة في سائر الأعمال الصالحة الباطنة والظاهرة، وتوجّهت النّفس نحو ربِّها رجاءً وخوفًا، ولزمت الأعمال الصّالحة الظّاهرة منها والباطنة، وصار هذا مؤثِّرًا في سائر العبادات، ويصبح الإنسانُ حسيبَ نفسه في فيما يقدم عليه من أعمال؛ حتىٰ يورثه ذلك منزلة التَّقوىٰ، بمفهومها الشَّامل، قال تعالىٰ: ﴿۞ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة].

ومن معاني الشمول في غرس تعظيم الله في النفوس إن هذا الغرس لا يختص بفئة عمرية دون أخرىٰ، ولا يختص مجتمع دون آخر، ولا يختص بحال دون حال، قال ﷺ: «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ»[1].

---

(١) رواه أحمد (٢١٣٩٢)، والترمذي، وحسنه (١٩٨٧)، وحسّنه الألباني؛ صحيح الترمذي (٩٧٧).

٢- غرس تعظيم الله عملية مستمرة

غرس تعظيم الله عملية تربوية مستمرة يزكي بها الإنسان نفسه طول حياته، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

وكذلك المربي حين يغرس فيمن يتولىٰ تربيته تعظيم الله في جميع أحواله، وليس لذلك حد أو وقت ينتهي إليه، وإنما لكل مرحلة ما يناسبها، ولكل حال ما يلائمها، فليس غرس تعظيم الله درسًا ينتهي بوقته، أو متنًا ينتهي بشرحه. وليست موعظة تنتهي بكلمة أو خطبة، بل تزكية مستمر، ورعاية متواصلة لغرس ينمو، ولذلك فإن من يولىٰ غرس تعظيم الله عليه أن يعد نفسه لتبعات هذه السمة فيتحلىٰ بالصبر والحلم مهما طال الوقت أو تعثرت النفس قال الله تعالىٰ مخاطبًا نبيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ﴿٥﴾ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ﴿٧﴾﴾ [المدَّثر]، فحين أمره بالنذارة والدعوة إليه متخذًا سبيل تكبير الله وتعظيمه منهجًا وسبيلًا أمره بالصبر، للحاجة الماسة إليه لأن الغرس والتربية أمر طويل ومستمر طوال دعوته وحياته.

٣- غرس تعظيم الله منهج ثابت

ومن خصائص غرس تعظيم الله أنه منهج ثابت، وصراط مستقيم لا يتغير مهما تبدلت الأحوال، قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وفي نظرة تأمّل وتدبُّر لآيات الحجّ في (سورة الحجِّ)، وما فيها من التَّنويه بتعظيم الله، حيثُ يقول الله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحج: ٣٧].

نجد الآيات اتّسمت بتأكيد تعظيم الله في القلوب، وبيان فضل ذلك عند الله، وأن تعظيم شعائر الله دليل عملي علىٰ تعظيم القلب لله، وبيان ما بشر الله به قلوب المخبتين له، والذين يحصل لهم الوجل عن ذكر الله تعظيمًا ومهابةً ثم يؤكد أن مظاهر العبادة لله في النسك مقصدها ما يقع في القلب من تقوىٰ، وتعظيم لله وأن هذا يرفع العبد درجات عند الله، ثم ختم ذلك بأمرهم بتكبير الله، نجد أن هذا المعاني التي تتضمنها الآيات سمات ثابتة لم تتغير مع تغير الحياة،، فالوسائل تتغير ويبقىٰ تعظيم الله قيمة عظمىٰ، مهما تغير مظاهر الحياة، ويبقىٰ تعظيم الله مقصدًا أسمىٰ متربط ببشرية الإنسان، وملازم له مهما تغير الحياة من حوله، ثابت الأصول ومتجدد الوسائل، فمنذ كان الإنسان يتلقىٰ علومه في كتاتيب أولوية حتىٰ أصبح يتلقها في جامعة حديثة فإن غرس قيمة تعظيم الله ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، سبيل واضح، منضبط المعالم، وسط بين الجافي عنه والغالي فيه ۞

المطلب الثالث: متطلبات غرس قيمة تعظيم الله

من أجل أن يتحقق مقصود غرس قيمة تعظيم الله ويؤتي الغرس ثماره في النفوس فتنتفع بهدايات القرآن هناك متطلبات مهمة من شأنها تحقيق ذلك بكفاءة عالية، من أهمها:

١- **أن يكون غرس تعظيم الله أولًا.**

٢- **أن يكون غرس تعظيم قيمة غاية كبرىٰ.**

٣- **أن يقوم بغرس تعظيم الله مربي قدوة.**

وتفصيل ذلك كما يلي:

١- **غرس تعظيم الله أوَّلًا**

شواهد كثيرة تؤكِّد أن غرس تعظيم الله كان يحدث في الرَّعيل الأوّل من الصّحابة قبل تلقي توجيهات القرآن وهداياته التفصيلية، ومن تلك الشّواهد قول حذيفة بن اليمان ﷺ: «إِنَّا قومٌ أوتينا الإِيمان قبل أن نؤتىٰ القرآن، وإنَّكم قوم أوتيتم القرآن قبل أن تؤتوا الإيمان»(١).

وقول جندب بن عبد الله البَجلي ﷺ: كنَّا غلمانا حزَاورَةً مع رسول الله ﷺ فتعلّمنا الإِيمان قبل أن نتعلّم القرآن، ثمَّ تعلّمنا القرآن، فازددنا به إِيمانًا، وإِنّكم اليوم تَعَلَّمون القرآن قبل الإِيمان(٢).

وقول عبد الله بن عمر ﷺ: «لقد عشنا برهة من دهرنا وإنَّ أحدنا يؤتىٰ الإيمان قبل القرآن»(٣).

قال شيخ الإسلام: «ولهذا كان الإيمان بدون قراءة القرآن ينفع صاحبه ويدخل به الجنة، والقرآن بلا إيمان لا ينفع في الآخرة؛ بل صاحبه منافق»(٤).

فالإيمان الحق يتضمن تعظيم الله عز وجل، وليس الإيمان معلومات يحفظ رسمها ويردد لفظها وتهمل فيها الحقائق الوجدانية، وليست الإيمان متنًا يحفظ أو كتاب يدرَّس فحسب؛ بل هو عقيدة تنغرس في القلب، ويعظم فيه الرب، ويؤجل ويهاب ويوقر، ويقدم أمره ويحذر نهيه.

---

(١) رواه البيهقي، السنن الكبرىٰ (٥٤٩٧).

(٢) رواه ابن ماجه (٦١)، وصححه الألباني؛ صحيح ابن ماجه (٦٠).

(٣) رواه البيهقي السنن الكبرىٰ (٥٤٩٦)، والحاكم (١/ ٣٥)، وقال: «صحيح علىٰ شرط الشيخين».

(٤) مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية (١٥/ ٧١).

فإذا سبق إلىٰ القلب تعظيم الله فإنه يتلقىٰ أحكام الشريعة بالتعظيم والإجلال والإقبال والمسارعة والمسابقة، وانظر إلىٰ أهمية هذا الترتيب في وصف الله لنفوس المؤمنين، وكيف كان تعظيمهم لله ووجلهم منه سببًا لطاعتهم، وزيادة رغبتهم في الخير في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال]، فلما امتلأت نفوسهم تعظيمًا لله، ووجلت قلوبهم عند ذكره انتفعوا بهدايات القرآن تأثرًا واستجابةً، وإقبالًا علىٰ الأعمال الصالحة التي يزيد بها الإيمان.

ولأهمية هذا الترتيب بدأ لقمان الحكيم بوعظ ابنه بما يغرس الإيمان في قلبه؛ وبما يغرس تعظيم الله وإجلاله قبل أن يوصيه بتنفيذ الأحكام التفصيلية، فأرشده أولًا: إلىٰ تعظيم الله كما في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣﴾ [لقمان]، أي: لا تشرك بقصدك أو بتعظيمك أو برجائك أو بخوفك أو بدعائك بل اجعل كل ذلك لله وحده، ليصبح توحيدك كاملًا وإيمانك صافيًا، ثم أردفه بعد ذلك بما يقذف في قلبه الوجل والتعظيم والإجلال لله وحده؛ بقوله: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝١٦﴾ [لقمان:]، ثم بعد هذه التهيئة الإيمانية ذكر جملة من التوجيهات العملية، كما في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝١٧ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝١٨ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ۝١٩﴾ [لقمان: ١٩].

ولو أن هذه التوجيهات جاءت إلىٰ القلب وهو خالٍ من تعظيم الله، ومن مراقبته ومن احتساب الأجر وابتغاء ما عند الله؛ لاعترىٰ النفس صدود وجمود، وتفلت عن التكاليف، وأصابها تهاون وتقصير وكسل، كحال أهل النفاق الذين لم يدخل الإيمان في قلوبهم، ولم يعظموا الله ولم يوقروه، فقال الله في وصف حالهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٤٢﴾ [النساء].

٢- أن يكون غرس تعظيم قيمة الله غاية كبرىٰ.

لا بدّ لمن رام غرس تعظيم الله أن يكون هذا المقصد غايةً عظمىٰ، ومقصدًا ساميًا يفوق كلّ مطلب، ويُقدَّم علىٰ كلّ غاية، ويظهر هذا التّقديم عمليًا، ويُعطىٰ من الاهتمام ما لا يعطىٰ لغيره، لعظمته وشريف مقامه، لكونه ثمرة توحيد الرُّبوبية، ولأنّ تعظيم الله يورث توحيد

الألوهية، الذي بُعِث من أجله الرُّسُل، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦﴾ [النحل]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾ [الذاريات: ٥٨].

وكل أمر بعبودية الله؛ فإنه يتضمن تعظيمه سبحانه، فمدار الدِّين علىٰ هذا المقام العظيم.

وتأكّد شأن تعظيم الله في القرآن الكريم= تكرُّرُ الأمر بتعظيم الله وتكبيره قولًا بالسان، وعملًا بالجوارح والأركان، واعتقادًا بالجنان، في مواطن كثيرة، منها: قوله تعالىٰ: ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥﴾ [العنكبوت]، وقوله: ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١﴾ [الإسراء].

وكذلك ممّا يُؤكِّد شأن تعظيم الله فريضة الصلاة التي تتكرر في اليوم والليلة، التي من أجل مقاصدها تعظيم الله وتكبيره، فها هو الأذن الذي يتكرر رفعه في أرجاء المجتمع المسلم خمس مرات، يصدح بهذا المقصد العظيم (الله اكبر)، ويتكرر تكبير الله في تكبيرات الصلاة، وتتضمن الصلاة مواطن كثيرة لتعظيم الله قال ﷺ: «**فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ**»(١).

فعلىٰ كلّ من أراد غرس تعظيم الله في القلوب، والانتفاع بهدايات القرآن= أن يجعل تعظيم الله غايةً كبرىٰ، ومقصدًا أسمىٰ للمناهج والبرامج.

٣- أن يقوم بغرس تعظيم الله مربي قدوة.

من المتطلبات المهمة لغرس تعظيم الله أن يقوم بالغرس مربي قدوة يتمثل تعظيم الله سجية في طبعه ونفسه، دون تكلف أو جفاء، وذلك أن التعظيم كسائر المشاعر الوجدانية فإنه ينتقل بالتأثير

---

(١) رواه مسلم (٤٧٩)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقال ابن حجر رحمه الله: «لكنَّه لا مفهوم له، فلا يمتنع الدعاء في الركوع كما لا يمتنع التَّعظيم في السجود»، فتح الباري (٢/ ٣٢٨، ح: ٧٦١).

والمجالسة والمصحابة وقد أكد ذلك النبي ﷺبقوله: «الْمَرْءُ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ»(١)، ومن أهم الصّفات التي تحقّق صفة القدوة في المربِّي الصَّفات التالية:

أ- قادرًا علىٰ تكوين علاقة جيدة بمن حوله يسودها الود والمحبة

يبيِّن النَّبيَّ ﷺ أنّ المحبَّة شرطٌ للإيمان في قوله: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»(٢).

وهذا ممَّا يؤكِّد شرط وجود المحبة بين المتلقي والمربي، فمن يحمل هم غرس تعظيم يتطلب منه أن يكون متصف بهذه الصفة، فإن القيم التي تقدم في جوٍ من المحبة والود تنغرس في القلوب بعمق وسهولة، وتؤثر فيها مدة طويلة.

ب- ثابتًا علىٰ قيمه

وذلك أن القدوة لا يتحقق كونه قدوة بكلمات يلقيها أو بمواقف عابرة بل تتحقق القدوة بثباته علىٰ مبادئه، وتمسكه بقيمه، في جميع أحواله، ولا تغيره الظروف والأهواء، بل قيمه تعظيم الله يحكمها علىٰ ظروفه وأحواله، فيكون ثابتًا عليها حال رضاه وغضبه، وفي حال غناه وفقره، وفي حال قوته وضعفه، وسائر أحواله، فيكون بذلك قدوة تحتذىٰ.

ت- معايشًا للمتلقين

وذلك أنّ من يقوم بغرس تعظيم الله مهما كان متميِّزًا في قيمه، رائعًا في عبادته وأخلاقه، ثابتًا عليها، فإنه لا تتحقّق به القدوة إلَّا إذا عايش طلابه، حيث يرون عبادته، وينظرون سلوكه، ويشاركهم مشاعرهم، ويشعرون بقربه ومحبته.

وعندما تغيب المعايشة فيقتصر عمل المعلم علىٰ إلقاء الدّرس أو تسميع الحفظ، ثمّ تنتهي مهمته دون أن يعرف الطلاب منه هديًا أو سلوكًا أو تعظيمًا لله وأدبه، فلا عجب أن يقلّ التأثير أو ينعدم، فيصبح تعظيم الله في قلوب الطلاب ضعيفًا، ورغبتهم في الخير قليلة برغم ما يصلهم من معلومات غزيرة ومحفوظات كثيرة.

ولذلك من المهم أن توضع برامج تمنح فرصًا كبيره للمتلقي أن يعايش معلمه وشيخه فيستفيد من هديه وسمته وخلقه أضعاف ما يتعلم من كلماته، وكهذا يتعلم تعظيم الله بالمعايشة العملية والمعاشرة السلوكية.

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٤٤)، والترمذي (٢٣٧٨)، وقال: «حسن غريب»، وحسّنه الألباني، صحيح الجامع (٣٥٤٥).

(٢) رواه مسلم (٢٠٣).

وفي معايشة رائعة للنَّبيِّ ﷺ يصفها مالكُ بن الحويرث رضي الله عنه تحقَّقت فيها كلّ وسائل التّأثير، ومشاركة المشاعر، وتبادل الإحساس، والمودة والشّفقة والحبَّ. تعلَّموا فيها بما شاهدوه ورأوه أكثرَ ممّا سمعوه، يقول مالكٌ: أتينا رسول الله ﷺ ونحن شببةٌ متقاربون فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رسول الله ﷺ رحيمًا رقيقًا، فلمّا ظنَّ أنّا قد اشتهينا أهلينا، واشتقنا، سألنا عمّا تركنا بعدنا، فأخبرناه، فقال: «ارْجِعُوا إِلَىٰ أَهْلِيكُمْ، فَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ، وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ»(١).

لقد زودهم النبي ﷺ بأقصر متن للصلاة فقال: «وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» حيث اعتمد في ذلك علىٰ المعايشة، وعلىٰ ما رأوا منه، لا علىٰ ما سمعوا منه.

ث- يستثمر المواقف العملية لغرس تعظيم الله.

وقد كان النَّبيُّ يغرس في نفوس أصحابه تعظيم الله في مواقف متعدِّدة، منها المواقف التالية:

- عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال رسول الله ﷺ: «يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؛ احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ. وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ. رُفِعَتِ الأَقْلَامُ، وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»(٢).
- عن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: لمّا أمر رسولُ اللهِ ﷺ أن يُحفرَ الخندقَ عَرَضَ لنا حجَرٌ لا تأخُذُ فيهِ المعاولُ، فاشتكينا ذلِكَ إلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ، فجاءَ رسولُ اللهِ ﷺ، فألقىٰ ثوبَهُ وأخذَ المعولَ، وقالَ: «بسمِ اللهِ»، فضربَ ضربةً فكسرَ ثلُثَ الصخرة، ثمّ قال: «اللهُ أَكبرُ، أعطيتُ مفاتيحَ الشَّامِ، واللهِ إنِّي لأبصِرُ إلىٰ قصورِها الحمراءِ الآنَ من مكاني هذا»، ثمَّ ضربَ أخرىٰ، وقال: «بسمِ اللهِ»، وكسر ثُلثًا آخرَ، وقالَ: «اللهُ أَكبرُ، أعطيتُ مفاتيحَ فارسَ، واللهِ إنِّي لأبصرُ قصرَ المدائنِ الأبيضَ»، ثمَّ ضربَ الثَّالثةَ، وقالَ: «بسمِ اللهِ»، فقطعَ الحجرِ، وقالَ: «اللهُ أَكبرُ، أعطيتُ مفاتيحَ اليمنِ، واللهِ إنِّي لأبصر باب صنعاءَ»(٣).

---

(١) رواه البخاري (٧٢٤٦)، ومسلم (٦٧٤).

(٢) رواه أحمد (١/ ٢٩٣)، والترمذي (٢٥١٦)؛ وقال: «حسن صحيح»، وابن السّني (٤٢٥).

(٣) أخرجه النسائي؛ السنن الكبرىٰ (٨٨٥٨)، والبيهقي؛ دلائل النبوة (٣/ ٤٢١).

- عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ صلَّىٰ الصُّبح بغلس، ثمّ ركب، فقال: «**اللهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ، فَسَاءَ صَبَاحُ المُنْذَرِينَ**»[1].
- في قصة بني النظير أنَّ النَّبيَّ ﷺ لمَّا أرسل إليهم أن اخرجوا وأجلَّهم عشرًا، جاءهم عبد الله بن أُبَيٍّ يثبطهم، فأرسلوا إلىٰ النَّبيِّ ﷺ: إنَّا لا نخرج، فاصنع ما بدا لك، فقال ﷺ: «**اللهُ أَكْبَرُ حَارَبَتْ يَهُودُ**»، فخرج إليهم، وخذلهم ابن أبي، ولم تعنهم قريظة[2] ۞

(١) رواه البخاري (٩٠٥)، ومسلم (١٣٦٥).

(٢) فتح الباري (٧/ ٣٧٩).

المطلب الرابع: نتائج إهمال غرس تعظيم الله وأثره على الانتفاع بهدايات القرآن

يبيِّن نوحٌ عليه السلام أنَّ سبب إعراض قومه عن توحيد الله وطاعته: هو خلوُّ قلوبهم من تعظيم الله، وتوقيره. وذلك في سياق الله لخطابه لهم، فقال نوحٌ عليه السلام: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح]، أي: سببٌ حصل لكم حال كونكم غير معتقدين لله تعالىٰ عظمة موجبة لتعظيمه بالإيمان به والطاعة له. قال مجاهدٌ والضَّحاك: ما لكم لا تخشون لله عظمةً[(١)].

ولذلك؛ قال بشرُ بن الحارث رحمه الله: «لو تفكَّر النَّاسُ في عظمة الله لمَّا عصوا الله»[(٢)].

ولقد حذَّر عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من مظاهر إهمال غرس تعظيم الله، فقال: لقد رأيتُ رجالًا يؤتىٰ أحدهم القرآن، فيقرأ ما بين فاتحته إلىٰ خاتمته؛ ما يدري ما أمره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه، ينثره نثر الدّقل[(٣)].

وحين يُهمل غرسُ تعظيم الله؛ فستظهر آثارٌ سيئة علىٰ الفرد والمجتمع، ويمكن تقسيم تلك الآثار إلىٰ ما يلي:

أوَّلًا: آثارٌ عامّة:

١- الفصام النكد في المجتمع بين النظرية والتطبيق، بين إعلان تعظيم الله وبين مخالفة أمره واستباحة نهيه.
٢- تصبح العبادات -التي مقصدها تعظيم الله-شعائر صورية يؤدَىٰ ظاهرها ولا أثر لها علىٰ النفوس.
٣- تعدد مظاهر الانحراف أمام فتن الشهوات والشبهات وتعظيم شأن الانحرافات الفكرية وتبني الدفاع عنها.
٤- تعظيم شأن الدنيا والتنافس عليها بكل وسيلة.
٥- تفشي أمراض القلوب كالحسد والغلّ والحقد.
٦- تفكك المجتمع وضعف تماسكه، حيث يُعَظَّم ما لم يُعَظِّمْهُ اللهُ من الرَّوابط الجاهلية والتعصب لها، وسهولة تلقف الانتماء لأيّ رابط.

---

(١) تفسير أبي السعود (٥/ ٣٩٨).

(٢) مدراج السالكين (٣/ ٣٣٨).

(٣) رواه البيهقي السنن الكبرىٰ (٥٤٩٦)، والحاكم (١/ ٣٥)، وقال: «صحيح علىٰ شرط الشيخين».

ثانيًا: آثار تتعلق بهدايات القرآن

١- عدم فهم القرآن، وقد قال الله: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء]، قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لأنه لا ينتفع به، ولا يحفظه، ولا يعيه»(١).

٢- حرمان لذة تلاوة القرآن، قال عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لو طهرت قلوبكم ما شبعت من كتاب ربكم»(٢).

٣- الصَّدُّ عن تدبر القرآن وفهم هداياته، ويكفي في ذلك قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد] حيث حال موت القلب ومرضه بين العبد وبين تدبر القرآن والانتفاع بهداياته، قال تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنعام].

٤- قسوة القلب وعدم الانتفاع بمواعظ القرآن، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ [فُصِّلَت]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾ [محمد]. وحذّر الله من عاقبة خلوِّ القلب من الخشوع وتعظيم الله، فقال تعالىٰ: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد].

٥- ضعف اليقين بوعد الله، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الأحزاب].

٦- مخالفة أوامر الله، والكسل عند فعلها، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [التوبة].

---

(١) تفسير الطبري (١١/ ٥٣٨).

(٢) الزهد للإمام أحمد (٣٦٣)، حلية الاولياء (٢/ ٣٣٠).

٧- الجرأة علىٰ المنهيات، والتحايل علىٰ فعلها، قال الله في وصف المنافقين، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [التوبة]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [التوبة]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [التوبة].

السبيل إلىٰ علاج هذه المظاهر هو تعظيم الله

حين ذكر الله التوبة من الذنوب جعل الدافع لذلك ذكر عظمته، وجلال مقامه، فقال سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران]، وقال سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات].

وحين ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأسباب المعينة علىٰ التوبة ذكر تعظيم الله وهيبته هو المانع من المعصية وهو الدافع للخروج منها فقال: «يكون باستحضار عظمة الله تعالىٰ، وأنَّه الجبَّار المنتقم، لو شاء أن يؤاخذ النَّاس بذنوبهم لما ترك علىٰ ظهر الأرض من دابّة، وأنّه سبحانه الملك العظيم القدوس، وأنّه الرَّبُّ الكريم المنعم المتفضل، فلا يليق بالعبد أن يعصيه، ولا أن يستعمل نعمه في مخالفته، ولهذا قيل: لا تنظر إلىٰ صغر المعصية، ولكن انظر إلىٰ عظمة من عصيتَ. وكلّما زاد تعظيم العبد لربِّه؛ استحيا منه، وانكفّت نفسه عن معصيته»[1] ۞

(١) المدارج السالكين (١/ ٤٢٣).

المطلب الخامس: أثر غرس تعظيم الله على الانتفاع بهدايات القرآن

حين يغرس تعظيم الله في القلوب فإن لذلك الغرس ثمرات حسنة ونتائج طيبة علىٰ المجتمع والفرد، قال الله تعالىٰ في وصف حال الصحابة رضي الله عنهم: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧﴾ [الحُجُرات].

ويمكن تقسيمها هذه الآثار كما يلي:

أوَّلًا: آثار عامّة

١- تكوين مجتمع مسلم متوازن بين النظرية والتطبيق يجمع بين ما يعلنه من مبادئ وقيم يعظم فيها الله سبحانه وتعالىٰ، وبين ما يمارسه في واقع الحياة.
٢- اتِّسام أفراد المجتمع بالمسابقة للخيرات والتنافس في البذل والإيثار ابتغاء ما عند الله من الأجر والثَّواب.
٣- سمو أفراد المجتمع عن الشهوات والثبات امام تيارات الفتن.
٤- صدّ الشُّبهات ورد الانحرافات الفكرية بقين وقناعات راسخة.

ثانيًا: آثار متعلقة بهدايات القرآن

١- التطلع لفهم القرآن

يقول ابن رجب رحمه الله: «النصح لكتاب الله: شدة حبه وتعظيم قدره؛ إذ هو كلام الخالق؛ وشدة الرغبة في فهمه؛ وشدة العناية لتدبره؛ والوقوف عند تلاوته؛ لطلب معاني ما أحبّ مولاه أن يفهمه عنه»(١).

٢- التوفيق لفهم هدايات القرآن

قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ۝١٧﴾ [محمد]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٤﴾ [الحج]، وقال تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ۝٨٢﴾ [الإسراء].

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٧٩).

قال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا سمعه المؤمن انتفع به، وحفظه، ووعاه»[١].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن أصغىٰ إلىٰ كلام الله وكلام رسوله بعقله، وتدبَّره بقلبه؛ وجد فيه من الفهم والحلاوة، والبركة والمنفعة ما لا يجده في شيء من الكلام، لا منظومه ولا منثور»[٢].

٣- حبّ كلام الله

ومن الشواهد التي جاء فيه ذكر محبّة القرآن ما يلي:

- قول رسول الله ﷺ: «لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ، لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»، ثمّ قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح][٣]. وفي رواية أنّه قال: «لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا»[٤].
- وبعث النَّبيُّ ﷺ رجلًا علىٰ سَريَّة، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فلمّا رجعوا؛ ذكروا ذلك للنَّبيِّ ﷺ، فسألوه، فقال: لأنها صفة الرّحمن، وأنا أحبّ أن أقرأ بها، فقال النَّبيُّ ﷺ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ»[٥].
- وكان رجلٌ من الأنصار يؤمُّهم في مسجد قباء، وكان كلّما افتتح الصّلاة يقرأ بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، ثم يقرأ سورة أخرىٰ معها، فلمَّا أتاهم النَّبيُّ ﷺ أخبروه الخبر، فقال: مَا يَحْمِلُكَ عَلَىٰ لُزُومِ هَذِهِ السُّورَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ؟ فقال: إنِّي أحبُّها، فقال: «حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ»[٦].

٤- اليقين بوعد الله

قال تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا رَءَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ۝٢٢﴾ [الأحزاب].

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٢٩٠).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٧٠).

(٣) رواه البخاري (٣٨٨٤، و٤٥٥٣).

(٤) رواه مسلم (١٧٨٦).

(٥) رواه البخاري (٧٣٧٥).

(٦) رواه الترمذي (٢٩٠١)؛ ورواه البخاري تعليقًا مجزومًا به (١/ ١٥٥، ح٧٤٤)، وابن خزيمة في صحيحه (٥٣٧)، وحسّنه الألباني؛ صفة الصلاة (١/ ٤٠).

٥- الانقياد لهدايات القرآن بحبٍّ ورغبة

قال الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣﴾ [الزُّمَر]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾ [المائدة].

٦- بذل الجهد في نشر هدايات القرآن

قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ٥٢﴾ [الفرقان]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾[العصر: ٣].

٧- الاعتزاز بقيم القرآن وتعظيمها

قال الله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾ [الحج]، وقال سبحانه: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١﴾ [الإسراء]، وقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨﴾ [المنافقون: ٨].

٨- ثبات القلب علىٰ الدين

قال تعالىٰ: ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ١٢٠﴾ [هود].

٩- المسابقة للخيرات

قال الله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾ [المؤمنون].

١٠- التسليم لأحكام الله

قال تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء]، وقال تعالىٰ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص].

١١- الانتفاع بهدايات القرآن

يبيِّن سبحانه أنَّ خشية الله وتعظيمه كانت صفةً سابقةً لمن يتأثَّر بالقرآن، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزُّمَر].

ويبيِّن سبحانه أنّ المؤمنين بالله تعظيمًا وإجلالًا يكون لهم القرآن رحمةً وشفاءً، قال تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء].

قال الطبريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «رحمة لهم لأن المؤمنين يعملون بما فيه من فرائض الله، ويحلّون حلاله، ويحرّمون حرامه، فيدخلهم بذلك الجنة، ويُنجِّيهم من عذابه، فهو لهم رحمة ونعمة من الله، أنعم بها عليهم»(١).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يذهب ما في القلوب من أمراض، من شكٍّ ونفاق وشرك وزيغ وميل، فالقرآن يشفي من ذلك كلّه. وهو أيضًا رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب الخير والرّغبة فيه، وليس هذا إلَّا لمن آمن به وصدقّه واتبعه، فإنّه يكون شفاء في حقّه ورحمة»(٢).

نماذج تجسِّد أثرَ غرس تعظيم الله في الانتفاع بهدايات القرآن

١- **موقف هاجر عليها السّلام** حين جَاءَ بهَا إبْرَاهِيمُ وبِابْنِهَا إسْمَاعِيلَ وهي تُرْضِعُهُ، حتَّىٰ وضَعَهُما عِنْدَ البَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ، فَوْقَ زَمْزَمَ في أَعْلَىٰ المَسْجِدِ، وليسَ بمَكَّةَ يومَئِذٍ أَحَدٌ، وليسَ بهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُما هُنَالِكَ، ووَضَعَ عِنْدَهُما جِرَابًا فيه تَمْرٌ، وسِقَاءً فيه مَاءٌ، ثُمَّ قَفَّىٰ إبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إسْمَاعِيلَ فَقالَتْ: يا إبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وتَتْرُكُنَا بهذا

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٥٣٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٦٠).

الوَادِي، الذي ليسَ فيه إنْسٌ ولَا شيءٌ؟ فَقالَتْ له ذلكَ مِرَارًا، وجَعَلَ لا يَلْتَفِتُ إلَيْهَا، فَقالَتْ له: آللَّهُ الذي أَمَرَكَ بهذا؟ قالَ نَعَمْ، قالَتْ: إذَنْ لا يُضَيِّعُنَا)[1].

فما أعظمه ما انغرس في قلبها من تعظيم لله، وتوكلٍ عليه، ويقين بوعده، فجعلها تُسَلِّم أمرها لأمر ربِّها برضًا وقبول وتسليم، ثمّ إنّها أرضعت هذا التَّعظيم وهذا القين لابنها إسماعيل عليه السلام في تربيتها له، فظهرت آثار تلك التربية فيما قصّه الله علينا من خبره مع أبيه، حيثُ قال: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢﴾ [الصافات].

٢- وعن أنس رضي الله عنه قال: لمّا نزل قوله تعالىٰ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٩٢﴾ [آل عمران]؛ قال أبو طلحة رضي الله عنه: إنَّ أحبَّ أموالي بيرُحا، وإنّها صدقة لله؛ أرجو برّها وذخرها عند الله. ولمّا سمع زيد بن حارثة رضي الله عنه قوله تعالىٰ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٩٢﴾ [آل عمران]؛ قال : اللّهم، إنّك تعلم أنّه ليس لي مالٌ أحبَّ إليَّ من فرسي هذه، فجاء بِها إلىٰ النَّبيِّ ﷺ، فقال: هذه في سبيل الله[2].

٣- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لمّا أنزل الله براءتي، قال أبو بكر الصديق -وكان ينفق علىٰ مسطح بن أثاثة لقرابته منه، وفقره-: والله، لا أنفق علىٰ مسطح شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة ما قال. فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢﴾ [النور]؛ قال أبو بكر: بلىٰ والله، إنِّي أحبُّ أن يغفر الله لي. فرجع إلىٰ النَّفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا[3].

٤- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: والله، ما رأيتُ أفضل من نساء الأنصار أشدَّ تصديقًا بكتاب الله، ولا إيمانًا بالتَّنزيل، لقد أُنزِلَت (سورة النّور): ﴿وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ﴾ [النور: ٣١]؛ انقلب إليهنّ رجالهن يتلون عليهنّ ما أنزل الله إليهم فيها، ويتلو الرّجل علىٰ امرأته وابنته وأخته، وعلىٰ كلّ ذي قرابة، فما منهنّ امرأة إلَّا قامت إلىٰ مِرْطها المُرَحَّل

---

(١) رواه البخاري (٣٣٦٤).

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٥٩٢).

(٣) رواه البخاري (٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠).

فاعتجرت به، تصديقًا وإيمانًا بما أنزل الله من كتابه، فأصبحن وراء رسول الله ﷺ الصبح معتجراتٍ كأنّ علىٰ رؤوسهنّ الغِربان[١].

٥- وعن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ، قال: إنَّ معقل بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كانت لي أختٌ؛ فأتاني ابنُ عمٍّ لي فأنكحتها إيّاه، فكانت عنده ما كانت، ثمّ طلَّقها تطليقة، ولم يراجعها حتىٰ انقضت العِدَّةُ فهويها وهوته، ثمّ خطبها مع الخُطّاب، فقلتُ له: يا لكع، أكرمتك بها وزوجتكها فطلقتها، ثمّ جئتَ تخطبها! والله، لا ترجع إليك أبدًا. وكان رجلًا لا بأسَ به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فعلم الله تعالىٰ حاجته إليها، وحاجتها إلىٰ بعلها، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢]؛ قال الحسنُ: فلمّا سمعها معقلٌ؛ قال: سمعًا لربِّي وطاعةً. ثم دعاه، فقال: أزوِّجك وأكرِمُك. وكفَّرتُ عن يميني، وأنكحتُها إيَّاه. قال الحسنُ: تركَ الحميَّة، واسْتقَاد لأمر اللّه[٢].

٦- وعن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة، فنزل علىٰ ابن أخيه الحرّ بن قيس، وكان من النّفر الذين يُدنيهم عمر، وكان القُرَّاء أصحاب مجالس عمر ومشاورته، كهولًا كانوا أو شبانًا، فقال عُيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، هل لك وجهٌ عند هذا الأمير؟ فاستأذن لي عليه. قال: سأستأذن لك عليه. قال ابن عباس: فاستأذن الحُرُّ لعيينة، فأذن له عمرُ، فلمَّا دخل عليه؛ قال: هِيْ يا ابن الخطاب، فو الله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمرُ، حتىٰ همَّ بأن يقع به، فقال الحُرُّ بن قيس: يا أمير المؤمنين: إنَّ الله تعالىٰ قال لنبيِّه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[الأعراف]؛ وإنَّ هذا من الجاهلين. والله ما جاوزها عمرُ حين تلاها عليه، وكان وقَّافًا عند كتاب الله[٣].

٧- وعن عكرمة رَحِمَهُ اللَّهُ، قال: جئتُ ابنَ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ وهو يبكي؛ وإذا المصحف بين يديه في حجره، فأعظمت أن أدنوَ منه؛ فقلتُ: ما يبكيك يا ابن عبَّاس، جعلني اللهُ فداك؟ فقال: هؤلاء الورقات، وإذا هو في (سورة الأعراف)، ثم قرأ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ

(١) ابن كثير (٦/ ٤٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ١٠٧).

(٢) رواه الترمذي (٢٩٨١)، وقال: «حسن صحيح»، وأبو داود (٢٠٨٧)، وأصل القصة رواها البخاري (٥٣٣١).

(٣) البخاري (٧٢٨٦).

﴿١٦٥﴾ [الأعراف]؛ قال: فأرىٰ الذين نُهوا قد نَجَوا؛ ولا أرىٰ الآخرين ذَكُروا؛ ونحن نرىٰ أشياء ننكرها، ولا نقول فيها[1].

ومن خلال هذه المواقف ندرك أهمية غرس تعظيم الله، وأنّ له أثرًا عظيمًا في الانتفاع بهدايات القرآن، فعلىٰ مَن يحمل همّ تعليم كتاب الله ونشر هداياته: أن يهيئ المتعلّم بتربية إيمانية يُعَظِّم فيها الله جلّ وعزّ، ويجلّه ويوقِّره ويحبّه ويرجوه ويهابه، فيحبّ كلامه، ويتطلع إلىٰ فهمه، موقنًا بوعده، مصدِّقًا بخبره، مسارعًا للعمل بأوامره، مبادرًا لخيراته، معتزًّا بقيمه، ناشرًا لهداياته ❁

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٤٧).

الخاتمة

النتائج

توصل الباحث إلىٰ النتائج التالية:

١- تعظيم الله قيمة لها ثلاث مكونات: العلم، والاعتقاد الوجداني، والسلوك العلمي.

٢- قيمة تعظيم الله تكاد تتطابق مع مفهوم الإيمان بالله.

٣- تعظيم الله قيمة تحتاج إلىٰ غرس، وليست علمًا يتلقىٰ بالتلقين.

٤- قيمة تعظيم الله تبرز أهميتها كون خطوة تسبق تعلم القرآن، ثم تزيد بتعلمه.

٥- قيمة تعظيم الله تهيئ النفوس للعمل بهدايات القرآن.

٦- غرس تعظيم الله منهج ثابت، ومستمر يشمل حياة المسلم.

٧- يتطلب غرس قيمة تعظيم الله: أن يُبدأ بها أولًا، وأن يكون غاية عظمىٰ، وأن يقوم بالغرس مربي قدوة.

٨- يتطلب للمربي القدوة لكي يؤثر ويغرس القيم أن يعايش طلابه.

٩- إهمال غرس قيمة تعظيم الله له نتائج سيئة تمنع من فهم هدايات القرآن وتصده عن العمل بها.

١٠-غرس قيمة تعظيم الله له نتائج حسنة تدفع المؤمن إلىٰ حسن الفهم لكتاب الله، وحب تلاوته، والخضوع لأوامره، بحبٍ ورضًا، واليقين بوعده، والثبات علىٰ قيمه، والاعتزاز بها ونشرها، والبذل في سبيلها.

التوصيات

يوصي الباحث بما يلي:

١- دراسة مفهوم الإيمان، وتعظيم الله، الذي يسبق تعلم القرآن.

٢- تضمين تعظيم الله لمناهج إعداد معلمين القرآن الكريم وتدريبهم علىٰ القيام بغرسه في نفوس الطلاب.

٣- تمكين الطلاب من معايش المربين القدوات للتأثر بهم وتمكين غرس القيم، وذلك من خلال إقرار برامج عملية.

٤- إعداد برامج تمكن المربين والمعلمين من دراسة واقع الطلاب وتحديد مدىٰ حاجتهم لغرس قيمة تعظيم الله.

٥- إعداد مناهج لغرس قيمة تعظيم الله لجميع مراحل العليم.

والله الموفق والهادي إلىٰ سواء السبيل،،

فهرس المراجع

- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم؛ شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق ناصر العقل، دار عالم الكتب، بيروت، ط٧، ١٤٠٩هـ .
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، تحقيق صدقي جميل، دار الفكر، ١٤٣١هـ.
- التعريفات، علي الجرجاني، تحقيق: بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ.
- تفسير ابن كثير: (تفسير القرآن العظيم)، إسماعيل بن عمر بن كثير. نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، تحقيق: محمد حسين شمس الدين.
- تفسير أبي السعود: (إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم)، دار إحياء التراث، بدون تاريخ.
- تفسير البغوي: (معالم التنزيل)، دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢٣هـ.
- تفسير الطبري: (جامع البيان في تأويل آي القرآن)، أبي جعفر الطبري. نشر: دار المعارف، بدرون سنة الطبع، تحقيق الشيخين محمود شاكر وأحمد شاكر.
- تفسير القرطبي: (الجامع الأحكام القرآن) محمد بن أحمد القرطبي أحمد البردوني مكتبة الرياض؛ ط٢
- تفسير السعدي: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، عبد الرحمن السعدي، تحقيق: اللويحق مكتبة الرشد؛ ط٢؛ ١٤٢١هـ.
- جامع العلوم والحكم، عبد الرحمن بن رجب، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢ه.
- جامع بيان العلم وفضله، يوسف القرطبي، تحقيق: أبي الأشبال، دار ابن الجوزي، ١٤١٤هـ.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، دار السعادة، ١٣٩٤ه.
- رسالة "تعليم الصبيان التوحيد"، ص٢؛ طبعة: دار الهجرة، تحقيق: محمد عفيفي، والعمروي.
- سنن ابن ماجه، محمد بن ماجه، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة، ١٤٣٠هـ.
- سنن أبي داود، سليمان ابن أبي داود السجستاني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة، ١٤٣٠هـ.

- سنن البيهقي، السنن الكبرىٰ، أحمد البيهقي، تحقيق: التركي، مركز هجر، ١٤٣٢هـ.
- سنن الترمذي، محمد الترمذي، تحقيق: احمد شاكر، مطبعة الحلبي، ١٣٩٥هـ.
- شرح حديث أبي الدرداء في طلب العلم، ضمن مجموعة رسائل الحافظ بن رجب، تحقيق طلعت الحلواني، دار الفاروق.
- شرح صحيح مسلم للإمام النووي. نشر: دار الفكر بيروت، ١٤٠١هـ.
- شعب الإيمان، أحمد البيهقي، مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ.
- صحيح ابن حبان: (المسند الصحيح علىٰ التقاسيم والأنواع)، محمد بن حبان، بترتيب ابن لبان، نشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط.
- صحيح ابن خزيمة: مختصر المختصر من المسند الصحيح عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم، تحقيق: ماهر الفحل، دار الميمان، ١٤٣٤هـ.
- صحيح البخاري للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، نشر وتوزيع: إدارة البحوث العلمية والإفتاء الرياض، بدون سنة الطبع (المطبوع مع فتح الباري).
- صحيح الجامع الصغير وزيادته لمحمد ناصر الدين الألباني. نشر: المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٢هـ.
- صحيح سنن ابن ماجه اختيار محمد ناصر الدين الألباني. نشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط٣، ١٤٠٨هـ.
- صحيح سنن ابن ماجه، محمد الألباني، مكتبة المعارف، ١٤١٧هـ.
- صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج القشيري. نشر وتوزيع: إدارة البحوث العلمية والإفتاء الرياض، ١٤٠٠هـ، بتحقيق محمد فؤاد شاكر.
- صحيح مسلم، مع شرح النووي علىٰ مسلم، المنهاج، يحي النووي، دار التراث، ط٢، ١٣٩٢هـ.
- الطبراني في المعجم الكبير.
- العبودية، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: الشاويش، المكتب الإسلامي، ط ٧/ ١٤٢٦هـ.
- عمل اليوم والليلة، النسائي، تحقيق: فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٩هـ.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني. نشر: إدارة المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

- الفوائد، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، ١٣٩٣ه.
- القاموس المحيط، الفيروز أبادي، مؤسسة الرسالة،١٩٩٨م.
- الزهد والرقائق، عبد الله بن المبارك، المحقق: أحمد فريد، دار المعراج، ١٤١٥هـ.
- كتاب الزهد، للإمام أحمد؛ تحقيق: محمد جلال شرف، دار النهضة، ١٩٨١م.
- لسان العرب المحيط، ابن منظور الإفريقي. نشر: لسان العرب بيروت، بدون سنة طبع، إعداد: يوسف خياط.
- اللغة العربية المعاصر.
- مجموع فتاوىٰ ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع: السليمان، دار الوطن، ١٤١٣هـ.
- مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام أحمد بن تيمية. جمع وترتيب: عبد الرحمن القاسم، نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥هـ.
- مختار الصحاح، الرازي، دائرة المعاجم، مكتبة لبنان، ١٩٨٦م.
- مختصر منهاج القاصدين أحمد بن عبد الرحمن المقدسي شعيب وعبد القادر الأرناؤوط مكتبة دار البيان؛ ١٣٩٨هـ.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لمحمد ابن أبي بكر ابن قيم الجوزية، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ، تحقيق: محمد حامد الفقي.
- المستدرك الحاكم علىٰ الصحيحين، الحاكم، تحقيق عطا، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ.
- المسند:(مسند الإمام أحمد) للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: الشيخ أحمد شاكر، دار المعارف مصر، ط٣، بدون سنة الطبع،
- المناهج المعاصرة، صبري دمرداش، مكتبة المزار الإسلامية، ٢٠٠١م.
- الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن قيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، ١٩٩٩م.

الفهرس الموضوعات

المقدمة	٢
المدخل	٣
التمهيد	٦
المطلب الأول: أهمية غرس قيمة تعظيم الله للانتفاع بهدايات القرآن	١٢
المطلب الثاني: خصائص غرس قيمة تعظيم الله.	١٨
المطلب الثالث: متطلبات غرس قيمة تعظيم الله.	٢١
المطلب الرابع: نتائج إهمال غرس قيمة تعظيم الله	٢٧
المطلب الخامس: أثر غرس تعظيم الله علىٰ الانتفاع بهدايات القرآن	٣٠
الخاتمة	٣٧
فهرس المراجع	٣٩
فهرس الموضوعات	٤٢